ثنائية الإغواء والذكريات: قراءة في ومضة هروب لحسونة العزابي

عباس طمبل، السودان

النص :هروب

أغراني انصياعُ القلمِ وبياضُ الأوراقِ ؛ رسمتُ ذكرياتي كما تمنيتُ أن تكون .

رسم لنا المبدع حسونة العزابي (أبو إبراهيم العزابي) ومضة قصصية بإحساس الفنان التشكيلي المرهف وباستخدام الألوان الزاهية التي زينت بيضاء أوراقة الناصعة بامواه الزنابق وحاول جاهدًا زخرفة ذكرياته بألوان متلألئة تجعلها كالفسيفساء الزاهية بلغة شعرية ابتعدت عن التقريرية والمباشرة وأتاح للقارئ فرصة مشاركته في التأويل والتجوال بخياله دون أن يحدد له من أي الزوايا يلج للنص دون أن يفقده خاصية الإدهاش والإلماح. صاغ لنا هذه الومضة الرمزية ذات الدلالات المتعددة و إلتى تحدث فيها بضمير المتكلم (الأنا) فقد صُنِفت الرؤية في ثلاثة أنواع منها رؤية داخلية وتتمثل الرؤية المكتوبة بضمير المتكلم والسيرة الذاتية . بالنظر إلى هذه الومضة من منظور داخلي نجد أن الجمل الفعلية في زمن الماضي (أغراني انصياعُ القلمِ وبياضُ الأوراقِ؛ رسمتُ ذكرياتي كما تمنيتُ أن تكون)

أعطت طابع توتر وحركة فاعلة جعلت الومضة تنطلق كالرصاصة نحو هدفها لتحقيق صفعة المفارقة وتعتبر من السمات المهمة التي تميز الومضة القصصية عن غيرها من الأنواع الأدبية الأخرى ، ولا يشترط في المفارقة استخدام الكلمة وضدها فقط أنما يمكن تحقيق مفارقة من سياق قصصي يعكس حالة اجتماعية معبرة منقولة كلقطتين من مشهد من وحى الحياة اليومية للراوي ،كما أراد الراوي هنا نقل لقطتين مختلفتين من مشاهد لشريط ذكرياته منذ طفولته إلى عمر ربما أمتد إلى سنين.

لذلك فقد شكل الإغراء العلامة الفارقة واللحظة الحاسمة إذ يعتبر الإغراء أو الإغواء هو جذب اهتمام الآخر لإطلاق المشاعر الداخلية لديه وتحريك وجدانه وهو الفن الفطري الذي تمتلكه المرأة. ربما شكل هذا الفعل دافع قوى للراوي وجعله ينصاع ويقدم فروض الولاء والطاعة لقلمه وساعده على ذلك بياض الأوراق اللامعة التي تشع نورًا وتمد يدها تطلب من قلمه التقدم نحوها دون توجس أو خوف لرسم ذكرياته . وتعتبر الذكريات ما يختزن أو يحفظ في ذاكرة الإنسان وهي إحدى قدرات الدماغ، وهي القدرة على تخزين المعلومات واسترجاعها. وتدرس الذاكرة في حقول علم النفس الإدراكي وعلم الأعصاب. وهناك عدة تصنيفات للذاكرة بناء على مدتها ، طبيعتها

واسترجاعها للحالات الشعورية. التي تعكس كل ما يختزنه الإنسان في عقله الباطن منذ مراحل طفولته التي تتيح للعقل تخزين مشاهد وأحداث لا يمكن أن تمحوها الشيخوخة وتقدم عمر الإنسان فكلما تقدم الإنسان في عمره فقد خاصية الذاكرة القوية.

لذلك نجد الراوي قد رسم ذكرياته كما تمناها أن تكون ر بما متحديًا كل قوانين الذاكرة إن كان ضعيفة وغير مساعدة في تذكاره بعكسه اللحظات السعيدة من مشاهد حياته ،بالطبع كل إنسان يتمنى أن يرسم ذكرياته على أبهى حال حتى إن كانت ذكريات أليمة بفقد أي عزيز ولد أو أخ أو أم أو كانت ذكريات تعرض حالة عاطفية فاشلة ،لذلك تلعب الأمنيات دور البطولة في حياة كل فرد لكن يمنع تحقيقها وترجمتها إلى واقع تداعيات كثيرة في حياة الإنسان تجعله غير قادر على تحقيق أمنياته وهنا يمكنني أن اطرح سؤال: لو أتيحت لكل شخص فرصة رسم ذكرياته في لوحة وتزيينها بأبهى الألوان وفتحت له نافذة لبيعها في أكبر متاحف العالم هل سيرسمها كما هي دون إضافة رتوش أو ظلال ، بكل ما تحمله من معاناة وألم وحزن. بالطبع لا أظنه يفعل ذلك بل يأمل في تزيين الصورة وتجميع كل لحظات جميلة رائعة في حياته كي تخرج في حلةً زاهيةً.

ويمكننا أن ننظر إلى الومضة من زاوية أخرى بالنظر إلى الراوي كونه عربي الأصل و تمنى أن تكون هذه الذكريات زاهية تجمل بياض الورق وهى ذكريات وطنه الأم ،أو وطنه العربي الكبير ويرنو إلى الخراب وحالات القتل والدمار الذي أصاب أجزاء كبيرة من وطننا العربي بعد ما كلنا في سالف العصر أمة فاعلة متقدمة .

وربما تحيلنا هذه الومضة القصصية إلى شخصية كانت تحمل ذكريات سالبة يريد الهروب منها وإن كان شخص ماكرًا مخادعًا يكذب على هذا وينصب على ذاك ، أو يخدع هذه المرأة وينفذ مخططه الإجرامي ضد تلك، وعندما تاب أغراه بياض صحيفة كالثوب الأبيض المنقى من الدنس، لذلك رسم ذكرياته كما تمنى أن تكون وتجاهل سواد ماضيه الملطخ بالذنوب والشوائب.

سيميائية العنوان:

ربما مهد لنا العنوان (هروب) الدخول إلى النص دون أن يشي لما في المتن . الهروب هنا يمثل هروب الإنسان من ذكريات سلبية أو صفات كان يتصف بها في ماضيه لذلك يريد الهروب من واقعها الأليم وعندما هم برسمها هرب ولم يكمل صورتها ،فكم من ذكريات نهرب منها وهى عبارة عن محطات قد تشكل منعطفا في حياة الفرد إن كان الهروب لا يمثل الحال الأمثل للنسيان أو عالج كوارث الماضي ،وقد

يحيل العنوان هروب الومضة إلى عدة دلالات ويفتح أبواب تأويلها دون حصرها في حيز ضيق، بصفته عنوان نكرة وقد يختلف البعض أو يتفق حول تعريف العناوين. ويشكل اختيار العنوان الهاجس الأكبر للكثير من كُتاب الومضة القصصية، نسبة لقصر نص الومضة لذلك يتطلب عدم العجلة في اختياره ويفضل البعض كتابة العنوان بعد الفراغ من صياغة النص.

obeikandl.com